تأبيـــن

المرحوم الدكتور ناجي معروف

المجمع العلمي العراقي ينعى عضوه العـــامل

المرحوم الدكتور نـــاجي معـــروف

بسم الله الرحمـــن الرحيـــم

ببالغ الاسى ينعى المجمع العلمي العراقي عضوه العامل الاستاذ الجليل الدكتور ناجي معروف ، وهو اذ يتقدم الى مجامع اللغة العربية وجامعاتها بنبأ فقده يؤمن بأن للفقيد من آثاره ما يعد في حياته شوطاً بعيداً ، وما يصل بين حياته وحياة أجلّة المؤرخين في العالمين العربي والاسلامي ، لقد لقي ربه في صباح الاثنين غرة رمضان ١٣٩٧ هـ الموافق للخامس عشر من آب ١٩٧٧ م في مدينة جدة عند عودة من عمرة لبيت الله الحرام وزيارة مثوى الرسول الكريم (ص) .

احسن الله جزاءه وبارك آثاره ووفّاه افضل ما يوفّى العلماء العاملون .

صدى وفاة المرحوم الدكتور ناجي معروف في الاوساط العلمية

السيد رئيس المجمع العلمي العراقي المحترم

من اشق الأمور على النفوس المقدرة لخطر الثقافة في حياة الأمم أن تتلقى نعي فرسانها وحماتها، ويزيد ألمها اذا هي شهدت مغيب شموسها واقمارها وقد اجتمع لنا من أسباب المحنة في وفاة الدكتور ناجي معروف المسمع والمشهد وازددنا فيها حزنا بما دام بيننا من الصلة الحميمة على مدى أعوام حُمد في امتحانها دوام الصفاء، ونحن بعد هذا من خاصة المصابين بالفجيعة فيه لاستواء الأمور بين المجمعين سراءً وضراءً فنحن احرياء أن نتوسل في التجمل بصبر المصدوم في أقرب عزيز عليه .

ولكن لنا في موته نظراً ثانياً نستعيره من جلال حياته ، فاذا كان للحي في مغالبة الموت سانحة واحدة من سوانح النصر فقد حازها المغفور له برفعه ذكره فوق مرامي الفناء ، وتخليده فضله منائر للمعرفة تهدى الضمائر ، ورفده ثقافة قومه بذخر يعين على النماء والثراء وذلك فيما نرى أقصى الممكن في الأستعصاء على الزوال وغاية الرجاء في ديمومة العطاء وحسب ذلك أن يكون تنعماً بحياتين كلتاهما خالدة ، والثانية اكرم في ظل رحمة الرحمان ورضوانه مع البررة الصالحين .

وانا لله وانا اليه راجعون .

مسعود محمد

نائب رئيس المجمع العلمي الكردي

السيد رئيس المجمع العلمي العراقي المحترم

بعد التحية

ببالغ الاسى والاسف تسلمنا كتابكم المرقم ١٢٨٢ والمؤرخ في ١٩٧٧/٨/٢١ وبرفقته صورة من نعي العضو العامل المغفور له الاستاذ الدكتور ناجي معروف ، ان وفاة الفقيد خسارة كبيرة للامة العربية عامة وللقطر العراقي خاصة لما له من آثار جليلة في ميدان العلم واللغة ، تغمده الله برحمته الواسعة واسكنه الجنة الخالدة .

المطران اندراوس صنا

رئيس مجمع اللغة السريانية

رئيس المجمع العلمي العراقي(الوزيرية ــ بغداد العراق)

مجمع اللغة العربية الاردنية يشارككم في الالم لفقد المجمعي الجليل المغفور له الدكتور ناجي معر وف بعد جهاد حافل في خدمة الضاد رحمه الله رحمة واسعة وعوض العربية عنه خير العوض .

رئيس المجمع

الدكتور عبدالكريم خليفة

مجلس المجمع يؤبن فقيده الراحـــل
الدكتور ناجي معروف

خصص مجلس المجمع جزياً عن تقاليده المجمعية جلسته الثامنة المنعـــقدة في ٢٩ / ١١ / ١٩٧٧ لتأبين الفقيد..

فتحدث الدكتور عبدالرزاق محيي الدين مستعرضاً مزايا الراحل ومكانته العلمية وما له من خدمات جليلة ومدى اخلاصه في العمل .

بعدها ، دعا الاستاذ ، الدكتور جميل سعيد والدكتور صالح احمد العلي والدكتور يوسف عزالدين ليتفضلوا بتأبين الراحل فتعاقب الاساتذة على القـــاء كلماتهم المدرجة نصوصها في الصفحات التالية :

كلمة الاستاذ الدكتور جميل سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الفاضل رئيس المجمع العلمي العراقي ، سادتي واخواتي الفضلاء اعضاء المجمع .

سلام الله عليكم جميعاً ، ولا زلتم قدوة كريمة يحتذيها اهل الفضل العاملين لخير امّتنا ووطننا ودِيننا . ولا زال مجلسكم ، مجلس الفضل والعلم مجمعَ كلّ نفس كريمةٍ نبيلة .

أراني — ايها الأخوة الكرام — عاجزاً عن تبيان ما في نفسي لكم ؛ اذ تفضّلتم فرأيتم ان تولوني الحديث عن زميل كريم ، خلا منه مكانه في مجلسنا هذا ؛ ذلكم هو الاستاذ الدكتور ناجي معروف . واني لألتمس عذركم ان اجعل الحديث عن هذا الزميل « عبْر نفسي » و« كما رأيته » : أما الحديث عن حياته العلمية — وقد نشر نحواً من اربعين كتاباً ، كتب اكثرها وحده واشترك مع غيره في بعضها القليل ، ونشر اكثر من مائة مقال — فأرى مجالها غير هذه الجلسة في مجلسكم الكريم هذا .

اقول : رأيت الاستاذ الدكتور ناجي معروف ، أوّل ما رأيته ، مدرساً للغة العربية بدار المعلمين الإبتدائية ، وكنت طالباً من طلاّبه . وما زلت اذكر رعايته لنا ، ونحن طلاّبه ، ومحاولته معرفة اسمائنا واحداً واحداً ونداءَنا حين يسألنا في الصف بأسمائنا . وقد احببنا هذه الصفة . التي كانت تميّزه عن بقية مدرسينا الذين يخاطبون طلابهم بكلمة « انت » او « ذالك » مشيرين اليهم بالأصبع لا با لأسماء . وتلك صفة احببتها فيه واخذتها عنه ومازلت احرص عليها الى الآن .

كان يدرسنا اللغة العربية ، وقد حاول ان يغرس فينا حبَّ هذه اللغة ، فكان يرغّبنا

بأن يقول . هذه هي اللغة المقدّسة التي نزل بها القرآن الكريم . وان يغرس فينا حبّ العرب اهلها ، وكان يكرّر علينا : ان محبّتنا للعرب توجب علينا حبّ لغتهم ، وان حبّنا لهذه اللغة المقدّسة يوجب علينا حبّ العرب اهلها . ومازلت اذكر ابياتاً الحّ علينا انذاك في حفظها ، منها :

انا في حـــبّ بلادي مغـــرمٌ ومن الإيمان حبُّ الـــوطن
وبحبّ العرب قلبي هـــائـــمٌ إنّ حبّ العرب قد هيّمني

وما زلت اذكر ايضاً انه هو الذي غرس فينا روح البحث — واذكر انه طلب اليّ ان اقرأ في كتبنا القديمة ، وفي كتاب الأغاني خاصة ، ولم اكن رأيت هذه الكتب ، بل ولا سمعت بأسمائها قبل ذلك — هو الذي طلب الي ان الخّص حديثاً عن الشاعر تأبّط شراً . واذكر اني لخّصت الحديث عنه . وقرأته في الصف . واثنى عليّ بعد قراءته . ومنذ ذلك الوقت احببت الشاعر تأبط شراً ، وتعلّقت نفسي بالأستاذ ناجي معروف .

ونقل الأستاذ ناجي . وكنت القاه مصادفة في الطريق بين الحين والحين فأرفع يدي بالتحيّة له من بعيد ، واخجل ان اقترب منه شأن الطلاب في ذلك الحين ؛ يهابون اساتذتهم ويهابون الدنوّ منهم ولو للتحيّة ، فكان — يرحمه الله — هو الذي يتفضّل فيدنو اليّ ، ويستوقفني ويلتمس الحديث الذي يحدثني به ، ويسألني عن زملائي في المدرسة ، ويطلب اليّ ان ابلغهم تحيته حين ينصرف . وكان يزداد علوّاً في نفسي بموقفه . هذا ، ويزداد هيبة وإجلالاً .

وضربت الأيام بيننا ، وسافرت الى مصر للدراسة ، وعدت مدرساً بدار المعلمين العالية ، ورأيته هناك ، وكنت اتهيّب الجلوس في غرفة الأساتذة حين يكون جالساً بها . وكان يحسّ هذا منّي فصار يدني مجلسه من مجلسي ، ويأخذ في الحديث اليّ . وكان يعجبه ان يتحدّث عن نفسه يوم كان في المعتقل ، وقد اعتقل لفترة طويلة لمشاركته بامورنا الوطنية ، ولكفاحه في سبيل العرب والعروبة وكان يحلو له ان يتحدث عن ايامه العصيبة في المعتقل ، ويتحدث عنها بروح مرحة تحيل ايام المعتقل

المظلمة الى ايام منيرة حلوة .... وهو يمزجها بما كان من فكاهة وبأمور غريبة تحدث للمعتقلين ... وما زلت اذكر انني اقترحت عليه مرةً ،وقد اعجبتني احاديثه ، لو انه تفضّل فسجّلها باسلوبه الطريف مذكّرات يقرأها الناس للمتعة وللعبرة ، وليقتدي جيلنا بجيلهم ، ويعرف الناشئة ما لقي اسلافهم من نصب وعنت في كفاحهم من اجل الحرية ومن اجل الوطن ومن اجل العروبة ، وليكونوا مفخرة وقدوة لهم . وقد وعد بهذا ولكني لم اسمع عنه انه كتبه او اذاعه .

وعيّن عميداً لكلية الإمام الأعظم بالأعظمية ، وكان يذكرني بين الحين والحين فيتفضّل عليّ بالدعوة التي كان يقيمها لكبار رجالنا في ذلك الوقت في مناسبات خاصة ؛في نهاية العام الدراسيّ مثلاً او في الأعياد .. وما زلت اذكر انني تعرّفت على المرحوم الاستاذ الدكتور ناجي الأصيل ، والمرحوم طه الهاشمي في احدى حفلاته او دعواته هذه .

وانتقل الى كلية الاداب استاذاً بها ، وكنت معاوناً للعميد ، فكان يحلو له ، وهو يحسّ قربه من نفسي وقلبي — ان شرّف غرفتي بمجلسه ويتحفني بأحاديثه التي يقلّبها عن الأوقاف ، وعن كلية الإمام الأعظم ، وعن الاثار العراقية ، وكان قد اشتغل موظفاً بمديرية الأثار العامة ، وساهم بزيارة الآثار ، واشترك في الحفر والتنقيب عنها . . . ويبدو انه احب الآثار ولا سيما ما كان منها متصلاً بالعرب والإسلام . وما زلت اذكر ، وقد رأت الحكومة ان تجعل من شارع الرشيد ببغداد شارعاً عريضاً مستقيماً ، وكانت بعض الجوامع تعترض عملها هذا فهمّت ان تختصر منها ما يعترض الطريق ، ومنها جامع مرجان ، ما زلت اذكر حديث بغداد عنه ، وقد كتب المقالات الضافية في الحض على الحفاظ عليه أثراً قديماً ، وجامعاً له اهميته من الناحية الآثارية ، ومن الناحية التأريخيّة ؛ كتب مقالاً في العشرين من من ايلول سنة ١٩٤٥ بجريدة النداء ببغداد ؛ بعنوان : «جامع مرجان وزخارفه الرائعة» وأتبعه بمقال آخر في جريدة البلاد ببغداد ، بعنوان : « الجوامع والأوقاف » . واتبع وأتبع هذا بمقالات ثلاث في جريدة النداء ، بعنوان : «الجوامع وجناية

الأوقاف عليها » . واعجب الناسُ بمقالاته هذه ، وشغلت مجالس بغداد ؛ لأنه تحدَّث فيها حديث المؤرخ وحديث العارف بحالة الجوامع التي هي عليها .

اما المدرسة المستنصريّة ، فقد حدَّثني انه تابع حديثها في كتب التأريخ وفي سجلات الوقف ، وانه عجب ان رأى ما حولها من اوقاف كانت اجزاء منها في القديم ، ثم رآها قد استحالت الى حوانيت تابعة للوقف . وعجب كيف ان بعض هذه الحوانيت ، وهي اوقاف محرَّم بيعها ، اصبحت ملكاً للناس ، وبعضها صار لليهود .قال لي يرحمه الله ـ انه تابع هذا حين كان مديراً للأوقاف ببغداد ثم عمل على التشرف بمقابلة السيد رئيس الجمهورية فبيّن له هذا وان الحكومة احسنت صنعاً حين استملكت ماحول المستنصرية ، وعملت على اعادتها الى سابق عهدها ... وهي اليوم اثرٌ نفخر به ، ولا يكاد يزور بغداد زائرٌ إلاّ والمستنصرية في رأس ما يزوره من آثار .

وتعلقت نفسه ـ يرحمه الله ـ بهذه المدرسة ، وكتب كتاباً عنها ؛ بعنوان : «المدرسة المستنصرية » طبع ببغداد سنة ١٩٣٥ ، وكتب «مقدمة في تأريخ المستنصرية علمائها ؛ طبع ببغداد سنة ١٩٥٨ : » وكتب كتباً بعنوان علماء المستنصرية طبع سنة ١٩٥٩ ، والحقه بكتاب آخر في العام نفسه ، بعنوان : « تأريخ علماء المستنصرية» .

واوفدتُ استاذاً للجامعة الليبيّة ببنغازي سنة ١٩٥٨ ، وبقيت اربع سنوات عدتُ بعدها فوجدته عميداً لكلية الآداب بجامعة بغداد ، وكان يحلو لي ان ازوره في غرفته ، فكنت اراه لا تعترضه مسألة لها حلاّن ، خيِّر ؛ وغيرُ خيِّر ، الا يأخذ بالجانب الخيِّر منها ـ وإنك لينذر ان تجد انساناً يحدثك انه اساء اليه .

وكان يعجبني ان استمع اليه وهو يتحدَّث عمّا له من اعمال تتصل بالصناعة والزراعة وكنت اعجب لقابليته الفذّة التي تجمع الجانب العلمي الى الجانب النظري ؛ حدَّثني مرةً عن معمل له لعمل البلاط « الكاشي » وقال إنه تبرَّع ببعض نتاج معمله هذا لترميم كلّية الإمام الأعظم ؛ قال انه رمّم الكلية من بعض نتاج معمله ، وانه طالب

مديرية الأوقاف العامة بالثمن ، فأخذوا وأعطوا معه فيه ، فرأى ان يترك الثمن حسبةً لله وتبرّعاً لكلّية الإمام الأعظم .

وقُدّر لي ان سافرت معاراً لجامعة الرياض سنة ١٩٧٠ وعدتُ بعد سنة فسررت ان رأيته منتخباً لعضويّة المجمع العلمي العراقي ، ورأيت غرفته بجوار غرفتي ، لا يفصل بيننا الا القاطع الخشبي وكان — يرحمه الله — دؤباً على العمل نشيطاً فكان يسبقني كلّ صباح الى مكتبه . وكنت ساعة افتح باب غرفتي اسمع صوته يحييني من مكتبه . وكنت اكراماً له اتقدّم الى باب غرفته ، لأردّ التحية فأراه منهمكاً يقرأ او يكتب او يحقق . ويلحّ عليّ بالجلوس فأعتذر ، مخافة ان اشغله عن عمله العلمي . وزاد من صلتنا ان كانت ابنته خالدة تحضّر رسالة الماجستير بإشرافي فكان يحبّ ان يتحدّث إليّ مستفسراً عن جهدها وعملها ...

وقدّر للأكاديمية العلمية السوفيتيّة ان دعت ثلاثة من اعضاء المجمع العلمي العراقي ، لزيارة «الأكاديميّات» في الإتحاد السوفيتي ، فذهبنا معاً يصحبنا الزميل الكريم — عافاه الله ومدّ في عمره — الاستاذ الدكتور سليم النعيمي ، وكثيراً ما كنّا نسهر معاً ، وقد انسى بأني تلميذه وينسى انه استاذي فيفتح لي صدره ، شأن الصديق يفتح صدره لصديقه ، ويحلو له ان يحدّثني عن فترةٍ من شبابه قضاها في الدراسة بباريس قبيل الحرب العالميّة الثانية ...

وتنقلنا في جمهوريات السوفييت ، وزرنا في جملة ما زرنا طشقند وسمرقند ، ورأينا تمثالاً كبيراً للبيروني في طشقند ، وقد حرص ان نتصوّر الى جانبه ، وكان يراه ويرى الكثير من الأعلام المثقفين بالثقافة العربية الإسلامية .وقد نشأوا في بلدان اسلاميّة غير عربية — كان يراهم عرباً . وقد كتب مقالاً بعنوان : « عروبة البيروني وخدماته للحضارة العربية » في مجلة العلم والحياة سنة ١٩٧٤ . وكتب كتاباً بعنوان : « الفارابي : عربيّ الموطن والثقافة »طبعته وزارة الاعلام عندنا عام ١٩٧٤ . وكان لغيرته على العروبة يرى بعض العلماء المسلمين الذين تدّعيهم بلدان غيرُ عربيّة الآن عرباً . وقد كتب كتاباً بعنوان : « عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان

الأعجمية في المشرق الإسلامي » طبعته وزارة الإعلام العراقية واتبعه بكتاب آخر كبير بأجزاء ، بعنوان : « عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الأعجميّة في خراسان » طبعته وزارة الإعلام ايضاً سنة ١٩٧٦ ...

وتعدّى — يرحمه الله — العلماء الى المدن ، فكتب كتاباً بعنوان « عروبة المدن الإسلاميّة » واعود فأقول إننا طوّفنا بطشقند وسافرنا الى سمرقند ، وطوفنا بمسجدها الفخم الكبير الذي بناه تيمور ما رأيت له نظيراً في بلد اسلامي .... واعجب ايّما اعجاب بما رآه فيه من كتابات عربية ونقوش وبناء ... وزرنا ضريح قُثَم بن العبّاس .ورأينا فيه من النقوش والكتابات العربية الجميلة مما لا تكاد تجد له نظيراً ولا مثيلاً في بلد غيرها . وضايقنا الوقت فاكتفينا بيوم واحد قضيناه بسمرقند ، وارتحلنا وكان بودّه لو طال بنا المقام بعض الشيْ هناك ، وحدّثني بعزمه ان يتفرّغ عاماً من جامعة بغداد يقضيه بتصوير ما رآه في المسجد الكبير وفي ضريح قثم بن العباس ويذيعَ هذا وهذا كتاباً في الناس ...

وسافرتُ بتفرغ علمي من جامعة بغداد ،وعدت الى غرفتي بمكتبة المجمع . فكان اوّل ما افتقدته ، وقد فتحت باب غرفتي لأول مرّة تحيّته الكريمة وسألت عنه ، فقيل لي : توجّه لزيارة بيت الله معتمراً ووافاه اجله في عمرته . وقد — والله — غامت الدنيا بعيني ولم استطع قراراً بمكتبي ، ورأيتني ادبر قول كثيّر على لساني :

سألت حكيماً أين شطّت بها النوى فخبّرني ما لا احبُّ حكيم

وإني ما زلت اذكره واذكر تحيته الكريمة كلما دخلت مكتبي في غرفة المجمع فأترحّم عليه . وماذا عسى يملك الأحياء للأموات !

اي استاذي الفاضل ، وزميلي الفاضل ، وصديقي الفاضل ، لك الرحمة والرضوان وعزاؤنا فيك ان « لكل انه اجل » و « لكل اجل كتاب » وإنك ستوفّى جزاءَك وافاقا يوم « توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » وصدق الله العظيم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

جميل سعيد

كلمة الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي

ليس من السهل عليّ ان اقف اليوم لاقول ما يوفي بحق استاذي وزميلي ابي رجاء ، خاصة وان صلتي به ترجع في قدمها الى اكثر من خمس ثلاثين سنة ، وروابطي به لا تنحصر في زمالة العمل في الكلية والمجمع ، بل تمتد الى ميادين رحبة واسعة من المعرفة والفكر . انها علاقة غنية بالذكريات ، مزدحمة بالافكار ، ازاخرة بالعواطف والمشاعر التي لا يمكن حصرها او وصفها والتعبير عنها وليس من اليسير الاختيار منها خاصة وان زملاء افاضل لهم بابي رجاء صلات لاتقل في قدمها وعمقها وغناها مالي به من صلات ، مع انهم يتفوقون علي في القدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم . فلأ قصر كلامي على جانب واحد من حياته المديدة الزاخرة ، وهي الجانب الاكاديمي ومدى مساهمته في نشر وتوجيه وتوسيع الدراسات التاريخية ، حيث قضى معظم وقته في الدراسة والتتبع والبحث . فافاد المئات ممن درسوا عليه ، واشغل مناصب اتاحت له مجال نشر الدراسات التاريخية . هذا الى عشرات المقالات والبحوث التي نشرها لتبقى علامة على دوره ، ولتخلد اسمه في تاريخ الدراسات التاريخية .

تحدر ابو رجاء من اسرة عرفت باعتزازها في الدين وتمسكها به ، ونشأ في منطقة كانت من مراكز الدراسات الدينية فكان لهذا الوسط اثره في ترسيخ ايمانه بدور الدين الاسلامي في بناء الامة وتماسكها .

ولكن هذه النشأة لم تحل دون اهتمامه بالعرب ، لا لأنه عربي عبيد ي فحسب بل لان العرب كانوا عماد الاسلام وركيزته الاولى والاداة التي ثبتته ونشرته بين الناس. فالقرآن الكريم عربي ، والرسول الاعظم عربي ، والدعوة الاولى بين العرب . والحق ان نزعته الدينية لم تنطفئ ، ولكن تحمسه للعروبة كان اقوى واوضح ، حتى انها اصبحت عنده عقيدة هيمنت على شعوره ، ووجهت تفكيره الوجهة التي اكسبته ميزة خاصة في انتاجه العلمي ومؤلفاته

لقد آمن بان الاسلام كشف العبقرية العربية واتاح مجال الظهور والعمل في نشر الحضارة ومن اسعاد البشرية فكانت هذة العبقرية ابرز عوامل تثبيت حكم

الاسلام وتوطيد دولته . وقد كان الاسلام عاملاً في ظهور عدد كبير من الافذاذ في ميادين الفكر والعمل ، ولكن ظلت للبارزين من العرب مكانتهم المتميزة عند الناس واذا كان الناس قد عنوا بتناقل اخبار من ظهر في صدر الاسلام خاصة فان العبقرية العربية ظلت حية متقدة ، وظلت تنتج رجالاً يساهمون في بناء الحضارة والفكر . وفي ابراز هؤلاء العرب الذين ساهموا في الحضارة في القرون التالية كانت مساهمته الكبرى وعمله الكبير الذي سيبقى له الاثر الخالد .

والعراق الذي قضى فيه ابو رجاء سنى حياته ، كان منذ أقدم الازمنة عربياً ، يكون العرب غالبية سكانه بلغتهم وتقاليدهم واعتزازاتهم وتاريخهم المشترك وانجازاتهم فمقومات القومية العربية متأصلة في العراق منذ القديم ؛ غير ان عوامل كثيرة جعلت هذه المقومات في القرون المتأخرة تصبح كامنة في اللاشعور ولا تقوم بدورها الايجابي في توحيد الأمة واذكاء شعورها واستثارة همم ابنائها .

ثم ظهر من عمل اذكاء الشعور وتحريك الفكر ، وعلى تقوية الرابطة القومية تقوم بدور ايجابي فعال في ايقاظ الامة وتوحيدها . وقد اقاموا اراءهم ومبادئهم على اسس عميقة الجذور ، مكينة البنيان ، هي جزء من الكيان الروحي للشعب والعنصر الاساس في مقوماته الثقافية والحضارية وافلحوا على قلتهم وما احاطتهم من ظروف صعبة ، ان يكونوا قوة صمدت امام سياسة التتريك ،ونجحوا من اثارة شعور الثقة بالنفس والعزم على التحرر والوحدة .

وتابع المؤمنون بالقومية نشاطهم بعد الحرب العالمية الاولى وزاد نشاطهم في ايقاظ الشعور ، وتنمية الثقة في النفوس ، وفي تثبيت دور القومية في توحيد الامة ونهضتها وقراعها للاستعمار ؛ وتكونت منتظمات تعبر عن الاهداف القومية ويتسم بعضها بالحيوية والنشاط . فانضم ابو رجاء وهو في شبابه الى الجوال يساهم مع زملائه في نشاطها ، ويعمل على تحقيق افكارها القومية ؛ وتشربت روحه العقيدة القومية فظل مؤمناً بها طوال حياته ، يعمل على خدمة اهدافها ؛ ولقي في سبيلها في بعض

مراحل حياته الفصل عن الوظيفة والاعتقال والنفي ، فما تزعزعت عقيدته ولا وهنت نفسه .

بدأ الدكتور ناجي معروف حياته الوظيفية وبالتدريس فدرس في دار المعلمين الابتدائية ، والثانوية ، ثم في الكليات فكان مثالاً للمدرس الفاضل في غزارة علمه ، ودماثة خلقه ، وسماحة نفسه وصلابة عقيدته ، ووضوح فكره وحرصه على افادة الطلبة والاهتمام بنشاطهم والعناية بتوجيههم . ولازمته هذه الصفات طوال حياته التدريسية الطويلة . وقد وثقت هذه الصفات علاقته بطلبته فكان يتابع نشاطهم ويعمل على مساعدتهم وكانوا بدورهم يلجأون اليه لطلب العون والنصيحة كلما احتاجوا اليها وسارت به الايام في التدريس الى الكليات والجامعة، فعمل فيها قرابة ربع قرن محاضراً واستاذاً ورئيس قسم وعميداً ؛واظهر في كل عمله حيوية ونشاطاً وحرصاً ومرونة . فما عرفناه تأخر عن حضور الجلسات ، أو تهاون في مناقشات اللجان او تردد من تنفيذ ما يسند اليه ؛ وكان في اعماله المحور الذي يرجع اليه في تسوية الامور وتثبيت روح التعاون والانسجام ، وتنمية الثقة وتشجيع العمل المثمر .

واليه يرجع الفضل من دراسة التاريخ العربي موضوعاً اساسياً عاماً لكافة طلبة كلية الاداب ، وكان عمله منبعثاً من ادراكه اهمية ذلك التأريخ في تكوين الثقافة العامة وفي التوجيه السليم للمواطن المثقف .

ولم يقصر عمله على الادارة والقاء المحاضرات ، بل كرس كثيراً من وقته للنشر فساهم في كتابة كثير من الكتب المدرسية في التاريخ العربي ، للمدارس الثانوية والكليات ، وكلها تتسم بوضوح التعبير وسلامة اللغة وسلاسة الاسلوب وغزارة المادة، والتأكيد على دور العرب الايجابي العظيم في بناء الحضارة وتقدم الانسانية.

وكان بجانب ذلك يتابع نشر المقالات التي تتسم بما تتسم به كتبه المدرسية .

ان دور الدكتور ناجي في تربية النشء وتوجيه الجيل ، سواء في المحاضرات أو في تأليف الكتب المدرسية ونشر المقالات دور عظيم ، واثره كبير وكفيل

بسعته وشموله في تخليد ذكراه . ولكن اعمالاً علمية أخرى قام بها تزيد من مكانته علواً ، ومن ذكراه خلوداً تلك هي بحوثه المتعمقة التي انجزها ونشرها . ومن اولها وابرزها دراسته عن المستنصرية التي بدأها وهو يافع فنشرها سنة ١٩٣٥م في رسالة صغيرة ثم أعاد نشرها موسعة سنة بعد ١٩٥٨م ، ثم نشرها ثالثة بكتاب ضخم مستوعب للمدرسة ونظامها وعلمائها ، معتمداً على عدد كبير من المصادر الموثقة ، ومظهراً جلداً في البحث ودقة في التتبع ، وسعة في الاطلاع ، فكانت انموذجاً عظيماً للبحث عرضت علماً زاخراً وصوراً فكرية رائعة . وستبقى المستنصرية مقترنة به ، وهو مقترن بها ، وستظل مصباحاً للباحثين في التربية الاسلامية والفكر العربي ، كما كانت عند انشائها مصباحاً لطلبة العلم والمعرفة .

وتتابعت دراساته وبحوثه ، منوعة في مواضيعها متعددة في جوانبها ، ولكن وراءها تياراً منسجماً تنبثق منه ، وخيطاً عاماً يصلها ببعضها ، وهو الاهتمام بالجوانب الحضارية ، وبالاخص العمرانية والفكرية ، والعناية باخبار الرجال ممن اسهموا في بناء الحضارة وتنمية الفكر . غير ان اهتمامه اكبر في فترات اواخر العصر العباسي وما كان فيها من علماء عرب ، وهي فترات لم تكن قد حظيت بالعناية ، وعلماء اغفل ذكرهم فغمط حقهم ؛ فكانت دراسات ابي رجاء مبرزة لهم وموضحة دورهم وان لدراساته عن عروبة المدن الاسلامية ، وعن علماء من ارومة عربية مكانة خاصة لضخامتها ، ومعلوماتها الزاخرة ، وتعبيرها الجلي عن علمه الغزير وصبره الطويل .

وتظهر هذه الدراسات حماسه المنبعث عن عقيدته العميقة وشعوره الفياض بدور العرب والعروبة ، ذلك الحماس الذي دفعه الى ما يراه البعض تطرفاً في التدوين وتجاوزاً للحدود ؛ ولكن لا ينكر احد انه جمع فيها مادة ضخمة ، وعرض معلومات غنية ، وان اتجاهاتها تخفف من غلواء الهامسين باغماط العرب حقهم والتقليل من دورهم البناء ، والذين يتصيدون الجزئيات المفردة لاقامة صروح تخدم اغراضهم .

صالح احمد العلي

كلمة الاستاذ الدكتور يوسف عز الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

رحم الله ابا رجاء

كان فذاً بين الرجال في خلقه وعلمه ورقة شمائله . فما سمعته اغتاب احداً أو آذى سمعة انسان . كان يجيب المستغيث به حتى أذاه هذا الخلق يوماً من الأيام وجرر به الأقدام نحو المتاعب . كان ملء سمع اخوانه وبصرهم زاملته في كليتي الآداب والشريعة والمجمع وخلقه كالشذى العطر ، ملأ المجلس رقة ، ويطفح عذوبة وشاءت عناية الاله ان يصطفيه في اعز مكان ، وخير ليلة في الاراضي المقدسة . وهل هنالك اقدس منها مكاناً واشرف موطناً ؟ وهل هناك امنية اعظم من هذه الأمنية ؟

رحم الله ابا رجاء

ما اطال المقام في المجمع فقد سعدنا به زميلا ، وبكيناه فقيداً ، وهذه هي الحياة ، والعاقل من اتعظ بها والمدرك من اخذته العبرة من الموت وكسر جماح نفسه ، وخاف العاقبة . خلال فترة قصيرة مات مصطفى جواد وكمال ابراهيم وناجي معروف وها انا امامي ارى صور ستة من الأعضاء الراحلين (١) تطل علينا صورهم وليس لنا الا الأيمان بدون زيغ . والصبر بدون ريب لنوازل الحدثان .

ان عباراتي لا تقدر على ايفاء ابي الرجاء حقه في خدمة امته وقومه . فقد كان عاشقاً للعرب ومآثرهم ومجادهم ، حريصاً على ابراز حضارتهم واصالتهم ، يدفع عنهم بكل ما وسعته الكلمات والالفاظ ، وتخرّج عليه زمرة طيبة وجدتهم يكنون له الحب والاحترام والتقدير اذا جاء ذكره العطر واذا ورد اسمه الشذي ، فامنع عاطفتي ان تفيض اسى . واصبرها على الالم وا ردها عن الحزن ، لئلا تسيل دمعة ، وتفيض عبرة ، وتندّ حسرة ، وهذا ما عوّدنا عليه الاسلام .

رحم الله ابا تمام فقد عناه وعنانا بقوله :

(١) اعضاء المجمع الراحلون حمدي الاعظمي والمظفر ومصطفى جواد وكمال ابراهيم وشفيق العاني واخيراً ناجي معروف

خلقنا رجـــالاً للتجـــلدوالاســـى

وهن الغواني للبكـــــــا والمـــآتم

والطريف ان ابا رجاء لم تبرز قابليته العلمية ، وتظهر شخصيته التاريخية ، وتتميز كتاباته الا في اواخر العمر . فاصبح مرجعاً من مراجع التاريخ ، وثقة من ثقات البحث ، فنبه ذكره . وكنت اسمع عن كتبه اينما ذهبت ورحلت وأني حللت .

كان مؤرخاً صادقاً في بحثه ، تمرس بالتاريخ فانتج جملة من كتب قيمة وشارك في الحياة العامة فكافح عن عقيدته عن دينه وقومه ووطنه .

جمع اكثر من اختصاص فهو مؤرخ ، وهو لغوي وهو آثاري ترك مكتبة كبيرة تاريخية واضاء السبل لمن يسير بعده فاذا دامهنا الجزع الممض لفقده فان كظم الالم اشد مرارة . ولولا التعزي والتأسي بقضاء الله وقدره لسالت نفوس حساسة وفلقت قلوب رقيقة .

وفي التأبين نفض الهموم ، وتصفية الاحزان ولكن في تأبيني له عودة الى الحزن وتأكيد على الحب .

يا ابا الرجاء

ذهبت راضي القلب وقد قمت بواجبك الانساني والعلمي والفكري فرضيت عنك كرام قومك وارضيت طلابك ومن عرف فضلك بما قدمت من يد وما اسديت من فضل وما يسرت لهم من عقبات فاصطفاك الله في اعز مكان واسمى بقعة واشرف ارض ولن يموت انسان كان الخلق الرضي من شمائله والكتابة العميقة من سجاياه والبحث العلمي من اخلاقه والاخلاص ديدنه وحب الوطن من مزاياه فاعماله ستتحدث عنه وتخلد ذكره . والذكر للأنسان عمر ثان

والسلام عليكم

يوسف عز الدين